بسم الله الرحمان الرحيم

مداخلة الدكتور إبراهيم بودوخة

بعنوان

من القيم الاجتماعية والأسرية للدرس التفسيري والحديثي لعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تمهيد :

لقد كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في المحافظة على قيم المجتمع وصيانة مبادئه وأخلاقه ، من خلال استغلال كل الوسائل المتاحة لها ، والاستفادة منها في حماية الأمة ، ولعل على رأس تلك الوسائل : الدروس المسجدية ، وما يُلقى من علوم نافعة وخطب عامرة ومجالس هادفة في مدارس الجمعية المنتشرة في ربوع الوطن ، ومن تلك الدروس والمجالس : دروس التفسير والحديث .

ولا شك أنَّ هذه الدروس اليومية أو الأسبوعية التي كان يتولاها سادةٌ كبار من أهل العلم والدراية من أمثال الشيوخ : عبد الحميد بن باديس والبشير الإبرا هيمي ، والعربي التبسي والمبارك الميلي وغيرهم كثير ، لها أهداف معلومة ، ومقاصد محسوبة مطلوبة ، وقيم جليلة تَسعى هذه الجهود للمحافظة عليها كالقيم العقائدية والإيمانية والاجتماعية والأسرية والتربوية ، وخاصة في ظل محتل غاشم حقودٍ على كل القيم النبيلة والأصيلة .

لقد حرصت فرنسا على طمس كل القيم ، ومسخ كل العقول والقلوب ، وإفساد كل الأخلاق الأصيلة بالشعب الجزائري ، والتي ورثها من الأجداد والعلماء والفضلاء ، وتربى عليها في المساجد واللقاءات ، والمحاكاة اليومية ، والجمعات وغيرها .

لقد كان علماء الجمعية يواجهون فرنسا ومخططاتها بنشر العلم ، وفتح المدارس ، وتشجيع التعليم الصحيح بين الناس ، وكان الهدف من ذلك غرس القيم الصحيحة ، والأفكار النافعة ، التي تظهر في الأخلاق والسلوك ، وتتجسد في المواقف والأعمال ، ولو كان العلم في ذلك قليلا ، فكثرة العلم لم تكن هي المقصود والمطلوب ، يقول البشير الإبراهيمي : (كانت الطريقة التي اتفقنا

عليها أنا وابن باديس باجتماعنا بالمدينة المنورة سنة 1913 م في تربية النشء ، هي ألا نتوسع له في العلم ، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل) [1] .

دروس التفسير والحديث للشيخ عبد الحميد بن باديس

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس عالما ومعلما ومصلحا ، بل قد كان قائد المصلحين ، ورائد نهضة الجزائريين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومُحي دروس العلم بدروسه الحية، ومفسر كلام الله كما قال رفيقه الشيخ البشير الإبراهيمي[2] .

فبإضافة إلى ترأسه لجمعية العلماء وإشرافه على كل مشاريعها ونشاطاتها ،كان ت للشيخ دروس دائمة لا يتوقف عنها ، ومجالس يُعلِّ فيها العامة ، ويجتمع لها كل الناس رغبة في علمه وعلومه ومن ذلك دروس التفسير والحديث .

فدروس التفسير : هي الدروس التي كان يُلْقِيها الشيخ في الجامع الأخضر بقسنطينة ، ومنها ما كان ينشره رحمه الله في مجلة الشهاب بعنوان : مجالس التذكير من كلام الخبير الحكيم ، ودروس أخرى مثلها كان يقدمها للناس في زياراته للمدن [3] ، وهي دروس يشهدها الآلاف من الناس أحيانا رغبةً في التعلم ، وتعلقا بالشيخ المعلم .

ودروس الحديث : هي الدروس التي كان يهتم فيها الشيخ بالحديث النبوي شرحا وتعليما وتأصيلا ، وقد اشتغل زمنا طويلا بكتاب الموطأ للإمام مالك ، بجامع الأخضر بقسنطينة ، كما كان ينشر شروحا للأحاديث النبوية في جريدة الشهاب ، والبصائر ، والسنة ، ثم طبعت هذه الدروس لاحقا في مسمى : مجالس التذكير من حديث البشير النذير[4] .

---

[1] – البشير الإبراهيمي ،كتاب : من أنا (محمد البشير الإبراهيمي ، سيرته بقلمه) ، تحقيق : رابح بن خوية ، منشورات دار الوطن ، سطيف ، سنة 2018 ص : 21

[2] – محمد البشير الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة : 1997 م : 3/ 552 .

[3] – يُنظر : مقال : د .مراد حنيش ، دروس الإمام بن باديس في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقا وتوصيفا وتحليلا – مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر ، المجلد 35 ، العدد 3 ، السنة 2021 . ص : 195 .

[4] – يُنظر: مقال : أكرم بلعمري ، الواقعية في الدرس الحديثي عند االشيخ عبد الحميد بن باديس ، مجلة البحوث والدراسات ،

لقد كانت لهذه الدروس الملقاة في المجالس ، والمذاعة على المنا بر، والمنشورة في الصحف المجلات عظيم الأثر في الناس لبساطة أسلوبها ، وصدق أصحابها ، ووضوح أهدافها و مقاصدها ، فيتمسك الناسُ بدينهم ، ويحافظوا على قيمهم ، ويص نوا أعراضهم ، ويدافعوا عن أوطانهم وحقوقهم .

مفهوم القيم لغة واصطلاحا:

ولأنَّ مداخلتنا ترتكز على بيان القيم الاجتماعية والأسرية من دروس التفسير والحديث التي كان يشتغل لها العديد من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،فإننا في البداية نوضح مفهوم القيم لغة واصطلاحا .

القيم لغة :

القيم جمع قيمة ، وقد تعددت معانيها ومدلولاتها ، ومنها قولهم : (قيمَة الشَّيْء قدره وَقِيمَة الْمَتَاع ثمنه وَمن الْإِنْسَان طوله ، جمعُ قِيَمٍ ، وَيُقَال مَا لفُلَان قيمَة مَاله ثبات ودوام على الْأَمر)[1].

قال ابن منظور : (القيم الاستقامة. وفي الحديث:" قل آمنت بالله ثم استقم " ، فسُِّر على وجهين: قيل هو الاستقامة على الطاعة ، وقيل هو ترك الشرك . أبو زيد: أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، قال: والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه)[2] .

وعليه فمما سبق يتضح أن مادة «قَوَمَ» لها معاني عديدة منها : قيمة الشيء وثمنه والاستقامة والاعتدال والثبات والاستمرار .

القيم اصطلاحا :

لقد عرفت القيم في الاصطلاح بتعريفات منها :

- قالوا هي : (صفة عقلية والتزام وجداني يوجه فكر الإنسان واتجاهاته ومواقفه وسلوكه)[3].

العدد 16 ، السنة 10 ، ص: 125 .

[1] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموعة من المؤلفين) ، معجم الوسيط ، دار الدعوة ، 2 / 768 .

[2] – ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ، السنة : 1414 هـ : 12/ 498 .

[3]– نادية محمود مصطفى، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار البشير للثقافة والعلوم ،مصر ، الطبعة الأولى ،2011،ص: 28 .

– وقيل كذلك : هي :(مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية)[1].

ومن خلال ما تقدم من تعاريف ومعان يمكن جماعُ القول بأنَّ القيم : هي تصورات وسلوكيات يتسم بها الفرد والمجتمع ، ويتربى عليها قولا وفعلا ، وتظهر فيه من خلال مواقفه وتفاعله مع الحياة والناس .

ومصدر هذه القيم بالنسبة للمسلم هي مصادر دينه وعقيدته من قرآن كريم وسنة نبوية وتراث أصيل من أخلاق وفضائل وآداب وهدايات ، ومهما كانت التسميات لها من :أسس ومبادئ ومقومات وثوابت فلا يضر ، تعددت التسميات وتوحدت المعاني والإرادات[2] .

[1] – الطريقي عبد الله بن إبراهيم ، الثقافة الإسلامية: تخصصا ومادة وقسما علميا، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1417هـ، ص14.

[2] – مقال : عبد القادر شايط ، القيم الأخلاقية في التفسير القرآني ، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية ، المجلد 4 العدد2 تاريخ ديسمبر 2020 ، ص 214 .

من القيم الاجتماعية في الدرس التفسيري والحديثي لعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

يُرادُ بالقيم الاجتماعية تِلك: الأحكام، والمبادئ العقلية، والخلقية، التي يكتسبها الفرد، ويتعلمها، ويتشرَّبها من ثقافة المجتمع، وتصبح هي المحرك لسلوكه، وتوجهه نحو رغباته[1].

هذه الأحكام والمبادئ هي المرغوب فيها لدى أفراد ، كما أنها هي العامل الرئيس في توجيه سلوكه وتنظيم علاقاته في مختلف النواحي .

ومن هذه القيم : طلب العلم ، والتعاون والتكافل ،والمحبة ، والانتماء للوطن ، والأمانة ، والعدالة وغيرها

والقيم الاجتماعية تملك صفة الضدية ، فكل قيمة اجتماعية إيجابية نجد أنّ في مقابلها قيمة سلبية فمثلا : قيمة التعاون نجد أن ضدها قيمة الأنانية والفردية والنفعية والذاتية وهكذا .

ولقد حرص علماء جمعية العلماء المسلمين على تربية الشعب الجزائري على الكثير من القيم الاجتماعية من خلال دروسهم اليومية والمسجدية تفسيراً لآيات القرآن الكريم أو شرحاً للأحاديث النبوية ، وكذلك من خلال محاضراتهم في المجالس والنوادي كذلك عن طريق مقالاتهم في الصحف المجلات .

ومن القيم الاجتماعية التي اهتم بها الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية في دروس التفسير والحديث :

1. قيمة العلم والتعلم :

لقد كانت دروس التفسير للشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى عامرة بالحديث عن العلم وتقديسه وتعظيمه وبيانه مكانته والحاجة إليه في الأمة وخاصة في ظل سياسة استعمارية استدمارية تستهدف تجهيل الشعب ، وطمس دينه وهويته .

ففي تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[1] ، جعل الشيخ العلم إماما يتبع فقال : (العلم وحده الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال

[1] – يُنظر موقع الجمهرة : مَعلمة مفردات المحتوى الإسلامي
https://islamic-content.com/dictionary/word/7995

والاعتقادات)[2] ، فلا نتبع إلا عن علم : (لا تتبع ما لا علم لك به فلا يكن منك اتباع بالقول، أو بالفعل، أو بالقلب، لما لا تعلم؛ فنهانا عن أن نعتقد إلاّ عن علم أو نفعل إلاّ عن علم، أو نقول إلاّ عن علم)[3] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] يشرح هذه المكانة العالية ، والقيمة الجليلة للعلم فيقول : (قد ابتدأ الحديث عن الملك العظيم بذكر (العلم)، وقدمت النعمة به على سائر النعم، تنويهًا بشأن العلم، وتنبيهاً على أنه هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا، وأن الممالك إنما تنبني عليه وتشاد، وأن الملك إنما ينظم به ويساس، وأن كل ما لم يبن عليه فهو على شفا جرف هار، وأنه هو سياج المملكة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي، وبه دفاعها، وأن كل مملكة لم تحم به فهي عرضة للانقراض والانقضاض)[5]

يدعو الشيخ إلى العلم والمدوامة على طلبه وتحصيله لأن في ذلك فوائد عميمة للأمة ، واكتشافات ومعارف نافعة تخدم الإنسان والعمران يقول : (بقدر ما تكثر معلومات الإنسان، ويصح إدراكه لحقائقها ولنسبها، ويستقيم تنظيمه لها- تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول، وقسمي العلوم والآداب.

وهذا كما كان العرب والمسلمون أيام، بل قرون مدنيتهم: عربوا كتب الأمم إلى ما عندهم، ونظروا وصححوا واستدركوا واكتشفوا؛ فأحيوا عصور علم من كانوا قبلهم، وأناروا بالعلم عمرهم . ومهدوا الطريق ووضعوا الأسس لما جاء بعدهم؛ فأدوا لنوع الإنسان بالعلم والمدنية أعظم خدمة تؤديها له أمة في حالها وماضيها ومستقبلها)[6] .

يحذر الشيخ من تحقير العلم ، وقلة الاهتمام لأنه سبيل الفاشلين ، طريق سهل ويسير لانحطاط الأمم وسقطت ا لأمم واندحرت إلا بذهاب قيمة العلم بين أفرادها ، وطور انحطاط الأمم ، الانحطاط التام يكون عندما يرتفع منها العلم، ويفشو الجهل، وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها،

---

[1] – سورة الإسراء الآية : 36 .

[2] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ، تحقيق وتعليق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى،سنة : 1416هـ - 1995م.ص: 102 .

[3] – المرجع السابق ، تفسير ابن باديس ، ص : 103 .

[4] – سورة النمل الآية : 15 .

[5] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص: 254 .

[6] – المرجع السابق ، تفسير ابن باديس ، ص: 101

فتتخذ رؤوسا جهالاً لأمور دينها وأمور دنياها، فيقودونها بغير علم، فيَضلون ويُضلون، ويَهلكون ويُهلكون، ويفسدون ولا يصلحون[1] .

وهنا هو يذكر بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[2] .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3] يرى رحمه الله تعالى أنه : لا حياة إلاّ بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالماً إلاّ من كان متعلماً، كما لن يصلح معلماً إلاّ من قد كان متعلماً ، وهو ينبه إلى الآداب التي تشير إلها هذه الآية من سماع وصمت وعدم استعجال في التعلم ، وبها ينال طالب العلم مراده ، ويبلغ الفهم الصحيح قلبه وعقله يقول : (فبهذا الأدب يتم وعي المتعلم فيحفظ، وفهم المناظر فيرد ويقبل، وفهم القارىء فيعرف ما يأخذ ويترك، وفهم السامع لتحصل فائدة الاستماع.

وبترك هذا الأدب كثيراً ما يقع سوء الوعي أو سوء الفهم، وفو ات القصد من المناظرة والقراءة أو الكلام)[4] .

وأهل العلم أعزاء وعظماء لأنهم أحاطوا من العلوم ونالوا من المعارف والفنون ما غاب عن كثير من الناس ولذلك فضُلوا وقُدموا وكان لهم المقام الرفيع ، والحصن المنيع ، ولو كانوا في نضر الناس أقلاَّء حقراء ، ففي تفسير قوله تعالى من سورة النمل: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[5] تحدث رحمه عن الهدهد فقال : (ابتدأ الهدهد جوابه معتزاً بما أحاط به من العلم، متجملاً بما حصل منه، مظهراً لارتفاع منزلته به، متحصناً به من العقاب ، ولم تمنعه عظمة سليمان– عليه السلام– من إظهار علمه وإعلان اختصاصه به دون سليمان)[6] .

.

---

[1] – المرجع السابق ، تفسير ابن باديس : 102 .

[2] – صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل العلم ، رقم الحديث : 100 .

[3] – سورة طه الآية : 114 .

[4] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص : 344 .

[5] – سورة النمل الآية : 22 .

[6] – تفسير ابن باديس ، ص : 271 .

ثم يذكر بالأدب والاقتداء فيقول : (قد سمع سليمان هذا الهدهد وأقره عليه، فللصغير أن يقول للكبير وللحقير أن يقول للجليل : علمت ما لم تعلم، وعندي ما ليس عندك؛ إذا كان من ذلك على يقين، وكان لقصد صحيح.

ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيراً جليلاً أن يتقبل ذلك، ولا يبادر برده، وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائده فيقبله أو يرده بعد النظر والتأمل؛ إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علماً بما لم يحط مثل سليمان- عليه السلام- في علمه وحكمته، واتساع مدركاته.

وكفى بمثل هذا زاجراً لكل ذي علم عن الإعجاب بعلمه، والإعزاز بسعة إطلاعه، والترفع عن الاستفادة ممن دونه)[1] .

إن العلم عند الشيخ عبد الحميد باديس لا حد له ، ولا شاطئ لبحره ، ولا نهاية لأعماقه ، ولذلك فالطلب له غير مقطوع ولا ممنوع كيف لا والقرآن يعلمنا ألا نطلب الزيادة من شيء إلا من العلم حيث قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] .

يقول الشيخ : (تعلم الإنسان حتى يصير عالماً ويصير معلماً، ولكنه مهما حاز من العلم وبلغ من درجة فيه، ومهما قضى من حياته في التعليم وتوسع فيه وتكمل، فلن يزال بحاجة إلى العلم، ولن تزال أمامه فيما علمه أشياء مجهولة يحتاج إليها ، فعليه أبداً أن يتعلم، وأن يطلب المزيد، ولذا أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وهو المعلم الأعظم- أن يطلب من الله- وهو الذي علمه ما لم يكن يعلم- أن يزيده علماً فقال: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3])[4] .

2. قيمة الجماعة والوحدة :

إنّ الوحدة وجمع الكلمة من صميم منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، فكل أهدافه من كل مشاريعه وأعماله أن يكون الشعب كالبنيان المرصوص ، قويا متماسكا واحدا متحديا ليس بين تخاصم أو افتراق .

لذاك تجد أن القيمة الشرعية ، والحاجة الضرورية ما تخلف عنه الشيخ قولا وفعلا ، دروسا وبياناً ، لما يرى في الوحدة قوة تواجه العدو ، وقدرة على إقامة الأمة وتحريرها وتطورها .

---

[1] – المرجع نفسه ، تفسير ابن باديس ، ص: 271

[2] – السورة طه الآية : 114 .

[3] – سورة طه الآية : 114 .

[4] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص : 345 .

ففي شرحه للحديث : الذي رواه أبو مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)[1] .

تجده يطالب أهل الإيمان بإقامة هذه الوحدة في كل حياتهم ، وأحوالهم يقول رحمه الله تعالى : (الواجب على كل فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكل فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في التضام والالتحام، حتى يكون منهم جسد واحد كما قال – صلى الله عليه وآله وسلم – في الحديث الآخر: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[2])[3].

قيمة الوحدة والجماعة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس أنها ضرورية لكل أفراد أمة مهما اختلفت مقاماتهم ، ومهما تباينت قدراتهم فالكل مطلوب ، وليس في الأمة شيء مهمل أو حقير أو غير مفيد بل الكل يشد بعضه بعضا يقول : (ألا ترى البنيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة، والحجارة الصغيرة والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى، وكل ذلك محتاج إليه في تشييد البنيان، فكذلك بنيان المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم، على اخ تلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصغير والحقير له مكانه، وعلى كل حال أن يسد الثغرة التي من ناحيته، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء لها عنه، كما لا غناء له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته، بمقدار المركز الذي هو فيه، والقدرة التي عنده، ولا يجوز لأحد وان كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته، فإنه إذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل، وإذا ابتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير.

ثم ألا ترى أصابعك وفيها القوي وفيها الضعيف، حتى إذا شبكتها ص ارت كشيء واحد له قوة ومتانة زائدة، وكل أصبع منها يمكن أن يلوى ما دام وحده، فإذا شبكتها عسر ليها وقوي أمرها، فكذلك المؤمنين ، باتحادهم وفيهم القوي وفيهم الضعيف تكون لهم قوة عامة زائدة، وكل واحد منهم بمفرده يمكن قهره فأما إذا اتحدوا فإنهم يكونون بقوة اتحادهم في مأمن من كل قهر)[4].

---

[1] – صحيح البخاري ،كتاب المظالم والغصب ، باب نصرة المظلوم ، رقم الحديث : 2446 .

[2] – صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم الحديث : 66 .

[3] – عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الطبعة الأولى، سنة : 1403هـ – 1983م ،ص: 98 .

[4] – المرجع السابق ، مجالس التذكير ، ص : 99 .

إن الشيخ عبد الحميد رحمه الله تعالى يرى القوة في الجماعة ، والضعف في الفرقة ، ولا نهضة للأمة إلا بهده القوة والوحدة .

في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]

يقول : (إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كان لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة؛ ولهذا قرن الله في هذه الآية بين الإيمان بالله ورسوله، والحديث عن الجماعة وما يتعلق بالاجتماع، فيرشدنا هذا إلى خطر أمر الاجتماع ونظامه، ولزوم الحرص والمحافظة عليه، كأصل لازم للقيام بمقتضيات الإيمان وحفظ عمود الإسلام)[2].

لأن الجزائر موحدة وهي أمة تملكُ جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية – كما يقول الشيخ – وقد دلت تجارب الزمان والأ حوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية وإننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدابها وأنه من المستحيل إضعاف الأمة الجزائرية فضلا عن إدماجها أو محوها[3] .

---

[1] – سورة النور الآية : 62 .

[2] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص : 335 .

[3] – ابن باديس ، آثار ابن باديس ، تحقيق : عمار طالبي ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الطبعة الأولى ، عام 1388 هـ – 1968 م : 3/ 352 .

من القيم الأسرية في الدرس التفسيري والحديثي لعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

يراد بالقيم الأسرية هي تلك : المعاني والضوابط التي ستهدف بناء أسرة صالحة وناجحة ، سواء تعلق بالعلاقة الزوجية أو تربية الأبناء أو حسن المعاشرة للآباء والأرحام والأقارب .

وقد حوت دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس التفسيرية أو الحديثية قِيما تربوية وأخلاقية وإيمانية تتعلق بالأسرة ونجاحها واستمرارها والمحافظة عليها ، لأن في المحافظة عليها صيانة وقوة لكل المجتمع والأمة .

ومن القيم الأسرية التي اهتم بها الشيخ عبد الحم يد بن باديس رئيس الجمعية في دروس التفسير والحديث

1. قيمة تعليم المرأة :

يرى الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس كغيره من المصلحين إلى دور المرأة في بناء الأمة وإصلاحها ، فهي عماد الأسرة ، والقائمة على تربية أبنائها ، الصانعة لرجالها أبطالها

يقول : (البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال. وتَهيُّؤ الأم هو أساس حفظ الدين والخلق)[1] .

لذلك عمد الشيخ إلى الاهتمام بالمرأة اهتماما كبيراً في مشاريع الجمعية قولا وفعلا وفي دروسه ومقالاته شرحا وبيانا ، في حرص دائم ، وعمل دؤوب من أجل تربيتها وتعليمها حتى تؤدي دورها الحضاري ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»)[2] .

---

[1] – المرجع السابق ، آثار ابن باديس : 4 /201 .

[2] – صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ، رقم الحديث : 101 .

إن تعليم النساء بدينهن هو السبيل إلى تعلم أبنائهم وبناتهن وتربيتهم التربية الصالحة النافعة ، لذلك لم يفرق رحمه الله في نشر فكرة التعليم ، والتبشير بقيمة التعليم لكل أفراد المجتمع دون تمييز بين الرجال والنساء .

لقد كان يقدم الدروس ويشرح الأحاديث من أجل تأصيل فكرة تعليم المرأة وتعميقها وتأكيدها فيقول في الشرح الحديث السابق الذكر : (النساء شقائق الرجال في التكليف فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن، وقد علمهن- صلى الله عليه وآله وسلم- وأقرهن على طلب التعلم، واعتز بهن، وتفقدهن كما في حديث ابن عباس: أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم- خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه)[1] .

وفي شرحه لحديث الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الْكِتَابَةَ)[2] ، يدفع إلى تعليم المرأة الكتابة فيقول : (وفيه — أي الحديث – تعليم النساء الكتابة، واستدل به على ذلك جماعة من الأئمة منهم الخطابي في شارح السنن، وصاحب المنتقى ، وأقوى منه في الاستدلال العمومات القرآنية المتكاثرة الشاملة للرجال والنساء، فإن مذهب الجماهير وهو المذهب ا لحق أن الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء إلا بمخصص يخرجهن من نص إو إجماع أو بضرورة طبيعية . لأن النساء شقائق الرجال في التكليف، ولا خلاف في أنه إذا اجتمع النساء والرجال، ورد الخطاب أو الخبر مذكرا على طريقة التغليب.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾[4] كيف نص في الثانية على الرجال لما كان الحال مقتضيا لهم وأطلق في الأولى فدل على أنه لا فرق بين أن يكون الكاتب رجلا أو امرأة وهو من أدلته مشروعية تعلم النساء الكتابة)[5] .

---

[1] – ابن باديس ، مجالس التذكير ، ص : 156 .

[2] – الحديث أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى، رقم الحديث: 3887 ،قال الألباني صحيح يُنظر : أبوداود ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت : 4/ 11 .

[3] – سورة البقرة الآية : 282 .

[4] – سورة البقرة الآية : 282 .

[5] – ابن باديس ،مجالس التذكير ،ص : 158- 159 .

لقد أدرك ابن باديس أن تعليم المرأة يعد من أفتك الأسلحة وأشدها في مواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية في تجهيل الشعب بكل أفراده رجالا ونساء صغارا وكباراً ، لذلك عظم من قيمة هذا التعليم الخاص ، ونشر الوعي بين الأمة من أجل تحقيقه وتعميقه .

2. قيمة الإحسان للوالدين :

رعاية الآباء والاهتمام بهم وخدمتهم من أعظم وجوه الإحسان المطلوبة ، ومن أفضل أنواع البر المرغب فيها خلقا وفضلا أجراً .

لقد اهتم الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره بهذه القيمة الجليلة داخل الأسر والعائلات مُعظما شأنها ، ومؤكداً دورها وأثرها في علاقة الأبناء بآبائهم .

والإمام يشرح قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[1] ، معدداً ما يجب نحو الآباء من بر و إحسان وتعظيم ، قائلا : (فالله أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية وفي آية النساء[2] ، ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[3] .. ثم زاد هذا الحكم وهذا الأمر تقريراً بلفظ التوصية بها في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[4]، ليحفظ حكم الله وأمره فيهما، ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهم ا بهذه الوصاية، أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عند ولدهما، وكفى بهذا داعياً إلى العناية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها[5].

لقد تحدّث الشيخ عن تفاصيل كثيرة في باب البر للوالدين وإشارات ولطائف رقيقة في حقهما وفضلهما ، ومن ذلك :

– أن لفظ الإحسان في الآية جاء نَكرةً هكذا : إحساناً لإفادة التعظيم ، فهو إحسان عظيم في القول والفعل والحال[6] .

---

[1] – سورة الإسراء الآية : 23 .

[2] - المراد قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) سورة النساء الآية : 36 .

[3] – سورة لقمان الآية : 14 .

[4] - سورة العنكبوت الآية : 8 .

[5] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص : 66 .

[6] – المرجع السابق ، تفسير ابن باديس ، ص: 66 .

– وأن الأمر بالإحسان تعلق بالوالدين المشتق من الولادة إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين ، وقد جاء هذا صريحاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[1] ، فأمر بمصاحبتهما بالمعروف على كفرهما.

وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق– رضي الله عنهما– قالت: (قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فاستفيتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة (أي في العطاء والإحسان) أفأصل أمي؟ قال : نعم صلي أمك)[2].

– وأنّ جانب الأم أشد توكيداً من جانب الأب لم تعانيه من ألم الحمل، ومشقة الوضع، ومقاساة الرضاع والتربية[3].

وغيرها من الأحكام والتعليقات والآداب المتعلقة بجانب الوالدين ، وما يتعلق بحقوقهما في حياتهما وفي كبرهما ، ومن بعد موتهما .

إن هذه القيم وغيرها التي حرص علماء الجمعية على بيانها وتثبيتها وتعميقها من خلال دروسهم ونشاطاتهم العلمية في المساجد والمدارس وفي الخطب على صفحات الجرائد والمجلات كان لها الأثر البليغ في المحافظة على كلمة الأمة ، وصيانة مبادئها ، وتقوية صفها لمواجهة عمليات المسخ والسلخ الفرنسي للشعب الجزائري .

تعميق هذه القيم الاجتماعية والأسرية كانت سببا كبيراً في حفظ الأفراد وتتمين الأواصر الأخوية بين الجيران والأرحام ودفع كل أسباب الفرقة والنزاعات والخلافات التي يستغلها العدو عادة لتحقيق أهدافه ومراميه .

---

[1] – سورة لقمان الآية : 15 .

[2] – صحيح البخاري ،كتاب الأدب ، باب صلة المرأة أمها ولها زوج ،رقم الحديث : 5979 .

[3] – ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص : 66 .

الخاتمة : وفي ختام هذه المداخلة نصل إلى جملة من النتائج :

1 - لقد كانت دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في التفسير وكذا الحديث قوية المعنى ، عميقة التأثير ، كثيرة الدلالة ، تجمع بين الآثار والنقول الصحيحة ، وواقع الناس .

2 - في دروس التفسير والحديث للإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وغيره من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قيم جليلة ، وهدايات أصيلة ، مست كل جوانب حياة الناس : العقائدية ، والتربوية ، والسلوكية ، والاجتماعية ، والأسرية وغيرها .

3 - من قيم الاجتماعية التي غلبت في دروس التفسير والحديث للشيخ عبد الحميد بن باديس : قيمة العلم والتعلم ، وقيمة الوحدة والجماعة .

4 - من قيم الأسرية التي اهتم بها الشيخ في دروسه التفسيرية والحديثية : قيمة تعليم المرأة ، وقيمة الإحسان للوالدين .

5 - فائدة هذه القيم الاجتماعية والأسرية التي حرص عليها الشيخ في دروس تقوية رابطة الأمة ببعضها البعض ، وتعميق أواصرها ، وتشجيعها على العلم التي ينير العقول ويحررها ، ويصلح القلوب ويزكيها ، ويقاوم سياسات التجهيل والتبعية والقابلية للمستعمر .

كما نوصي بجملة من التوصيات :

1 - زيادة الاهتمام بمؤلفات وآثار علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن طريق عقد الملتقيات ، وتشجيع الدراسات الأكاديمية ، والمقالات البحثية وغيرها .

2 - تخصيص ملتقيات وأيام دراسية وندوات علمية وبحثية لعلماء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من غير المشهورين .

وفي الأخير أسال الله تعالى أن يجعل عملي هذا صالحاً ولوجهه خالصا ، وأن يجعله في موازين أعمالي يوم ألقاه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الدكتور إبراهيم بودوخة

أستاذ محاضر في القراءات والتجويد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

قائمة المراجع والمصادر :

القرآن الكريم

1. ابن باديس ، آثار ابن باديس ، تحقيق : عمار طالبي ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الطبعة الأولى ، عام 1388 هـ -
2. ابن باديس ، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) ، تحقيق وتعليق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى،سنة : 1416هـ - 1995م.
3. ابن منظور ،لسان العرب، دار صادر– بيروت ،الطبعة الثالثة ،السنة : 1414 هـ .
4. أكرم بلعمري ، الواقعية في الدرس الحديثي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مجلة البحوث الدراسات ، العدد 16 ، السنة 10 .
5. البخاري ، صحيح البخاري
6. البشير الإبراهيمي ،كتاب : من أنا (محمد البشير الإبراهيمي ، سيرته بقلمه) ، تحقيق : رابح بن خوية ، منشورات دار الوطن ، سطيف ، سنة 2018 .
7. سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت : 4/ 11 .
8. الطريقي عبد الله بن إبراهيم ، الثقافة الإسلامية : تخصصا و مادة وقسما علميا، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1417هـ .
9. عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الطبعة الأولى، سنة :1403 هـ – 1983 م .
10. عبد القادر شايط ، القيم الأخلاقية في ال تفسير القرآني ، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية ، المجلد 4 ، العدد2 تاريخ ديسمبر 2020 .

11. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموعة من المؤلفين) ، معجم الوسيط ، دار الدعوة .
12. محمد بشير الإبراهيمي ، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي ، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 1997 م .
13. مراد حنيش ، دروس الإمام بن باديس في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقا وتوصيفا وتحليلا – مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر ، المجلد 35 ، العدد 3 ، السنة 2021 .
14. مسلم ، صحيح مسلم
15. موقع الجمهرة : مَعلمة مفردات المحتوى الإسلامي https://islamic-content.com/dictionary/word/7995
16. نادية محمود مصطفى، القيم في الظاهرة الاجتماعية ، دار البشير للثقافة والعلوم ،مصر ، الطبعة الأولى ،2011.